

عدو المرأة

للسيدة وداد سكا كيني

ما لأيدينا حيلة بأبي الملا ، فلقد أتى على وفاته ألف سنة
أو ما يزيد . لقد كانت المرأة بفيضة إلى نفسه ، كرهية على سمعه ،
ولو استطاع أن يبيد من الدنيا كل أنثى تفعل . فواحربا بما في
لروميته عن بنات حواء ! ما لنا حيلة به فلقد مات وخلد علينا
مقاع الوصف ومطاعن الهجاء . ولعل له عذراً في امرأة أساءت
إليه فمد كل النساء مسيئات ، وغضب عليهن ، وقد عرفه القوم
فيلسوفاً متشائماً ناقماً على الحياة والناس أجمعين . ثم أتى على أدب
العرب حين من الدهر استراحت فيه المرأة من أعدائها والساخرين
منها حتى كان زمننا وجاء توفيق الحكيم

يقول الناس عن توفيق الحكيم إنه عدو المرأة ، ويقول هو
ذلك عن نفسه تياهاً مباهاياً ، ثم جد في قوله حتى كتب قصته
(عدو المرأة) فمجتبت له وقد أتى سلاحه أمام نأفاني الراقصة
البولونية ، وعجت من مذهبه في البغضاء فسألته هل أبغض أمه
وأخواته وخالاته وعماته ؟ وهل كان رجلاً من حمل به ثم ولده
فلا الدنيا بتوفيق الحكيم وشغل الناس بأدبه الرفيع ؟

إذا أقام توفيق الحكيم على رأيه واستبد به فليس في عالم
غير عالنا ، فإن من جنسنا الشمس والأرض ، ومن أنوثتنا الحياة .
وليحص الأسماء في العاجم فيجد فيها الكثير مؤثراً كالمرأة ،
وليترك الزهرة لا يشمها والتفاحة لا يأكلها ، وليمش وحده في
كون من الرجال ممن طالت لحام وعرضت مناكبهم وخشنت
أصواتهم وقت قلوبهم ، وليترك النساء الراغيب ، والفيد الأماليد
لغيره من الرجال

ولكن على رسله ! ألم تلهم المرأة رواياته الرائعة ، ومقالاته
البارعة ؟ ألم تكن شهر زاد من النساء ؟

إن من عرف باريس وفيها الفوائ الحسان لا يكون عدو
المرأة إلا إذا نهل منها حتى ارتوى وقاد كالنخن الجريح يخرج من
القتال وهو عدو له ، ولكنه لا يظل محارباً عظيماً ، فأهل الفروسية
أبدأ يدفعهم الشوق إلى استعادة الحرب

المرأة ربحانة من السماء عطر الله بها جنات هذه الأرض
وجعلها فيض الحنان وفتنة الوجود . أتمارى - وأنت تنشد الحق -
في سلطانها المطلق ومعانيها التي لا تحصى ؟ انظر إلى المتنبي فإن خلود
شعره من وحى خولة . وتطلع نحو بيرون فقد مات في سبيل
امرأة من اليونان . وتذكر وريث التاج بالأمس أدوار كيف
انطلق من قيود العرش ليخضع للمرأة . وإذا كنت مسلماً فإن
رسولك أحب كثيراً من النساء

لم تصيخ بسممك إلى أعداء المرأة وغلاظ القلوب ؟
ألا سمح الله المرى وشوبنهور ، فلقد أورتاك الشنآن ، وطبعك
على التشاؤم . إنهما يسولان لك هذه البغضاء ليعطلا قصصك
من مباهاج الأرواح ، ومتع الحياة . إنهما يريدانك على الخمول
والفتور ، ولئن كنت في ريب مما أقول ، فاجمع كتبك واحرقها
ثم أعد صفها وطبعمها ، وهي خلوة من ذكر المرأة ، كل من فيها
من الأبطال ، رجال في رجال ، ثم انظر ماذا يكون ، إنها سبيل
ويعملوها الشحوب ، وهي معلقة بأبواب الوراقين ، حتى إذا رئس
الباعة من عرضها على المرضين عنها نبذوها وراءهم ، وطرحوها
جنات الدروب حتى يمر بها الكائن فيلها ويرميها في مطارج
الإهمل والبلي . وستمر بك أيام أشد سواداً من الليل تهدهد
كبرياءك وتحمّد صيتك ، فينسك بمدّها الناس ، وتنطق من
الأدب العربي الحديث شملة ساطعة ، فإذا صرت إلى هذا الضمار
جن جنونك ، وضربت بيدك منضدة الكتب ، فادت بما عليها
واندلع الخبر من دوائك على القراطيس البيض ، فيتور ثأرك
وتحطم قلبك وتغذف به إلى حيث لا تمسك به ماحيت

أنت يا عدو المرأة فيك طبع المرأة . يقول الفلاسفة الذين
أفسدوا قلبك عليها : إذا أجابت المرأة بلا فإنما هي قائلة في مرها -
نعم . وإذا أبغضت فقد أحبت ، وإن كثيراً من النساء كن
يكرهن الرجال فهوين على أقدامهم مقبلات ، وما أنت يا توفيق
الحكيم إلا أشدّ عجب للمرأة وأصدق نصير لها ، عملاً أحلامك
بالرواء والبهاء ، وتطوف بروحك كما يطوف الجمال بفنك ، وزاها
تسكب في فكرك سراجاً وهاجاً يضيء عبقرتك ، ويلهمك
البراعة والابداع . ومن يدري فلعل وراء آثارك العظيمة امرأة
تهزك وأنت تحمل ، وتوحى إليك وأنت تكتب ، من عندها تفجر